الفصل الحادي و العشرون

يحصدون الزوبعة

ان وليم ميلر وزملاءه وهم يكرزون بتعليم المجيء الثاني كان غرضهم الاوحد من كدهم وتعبهم هو ايقاظ الناس ليستعدوا للدينونة. لقد عملوا على ايقاظ المعترفين بالديانة الى رجاء الكنيسة الحقيقي والى الحاجة الى اختبار مسيحي أعمق، كما حاولوا ايضا أن يوقظوا غير المتجددين الى واجب التوبة السريعة والاهتداء الى الله. « انهم لم يحاولوا أن يضموا الناس الى طائفة أو فئة دينية، ولهذا كانوا يخدمون بين كل الأحزاب والطوائف من دون أن يتدخلوا في شؤونهم أو أنظمتهم ».

ولقد قال ميلر : « في كل خدماتي لم أكن أرغب أو أفكر ابدا في اقامة مطلب أو تدبير يختلف عن مطالب الطوائف القائمة، أو أن انفع طائفة على حساب طائفة أخرى، ولكني فكرت في نفع الجميع واذ كنت افترض أن جميع المسيحيين سيفرحون برجاء مجيء المسيح، وأن الذين لم يكونوا يستطيعون أن يروا ما اراه لن تقل محبتهم لمن يعتنقون هذه العقيدة، لم أكن أرى ضرورة لعقد اجتماعات منفصلة. وكان مطلبي الوحيد هو تجديد النفوس الى الله وانذار العالم بالدينونة المقبلة واقناع الناس باعداد

قلوبهم حتى يمكنهم لقاء الههم بسلام. وقد اتحد غالبية من قد تجددوا بتأثير خدماتي وكرازتي مع الكنائس المختلفة » (٣٢٣).

واذ اثمرت جهوده وخدماته في بناء الكنائس، ظل الناس بعض الوقت ينظرون اليها نظرة الرضى، ولكن عندما قاوم الخدام والقادة الدينيون عقيدة المجيء ورغبوا في كبت كل اهتياج يمكن أن يحدثه ذلك الموضوع لم يكتفوا باعلان مقاومتهم لهذه العقيدة من منابرهم بل حرموا على أعضاء كنائسهم الذهاب الى تلك الاجتماعات لسماع رسائل عن المجيء الثاني أو التحدُّث عن رجائهم في الحفلات الاجتماعية التي تقام في الكنائس. وهكذا وجد المؤمنون انفسهم في مركز تجربة وارتباك. لقد كانوا يحبون كنائسهم ولم يكونوا يرغبون في الانفصال عنها. و لكن اذ رأوا شهادة كلمة الله مكبوتة وقد انكر عليهم حقهم في فحص النبوات، أحسوا بأن ولاءهم لله يمنعهم من الخضوع. كما انهم انكروا على الذين حاولوا اسكات شهادة كلمة الله احتكارهم عضوية كنيسة المسيح، « عمود الحق وقاعدته »، ولذلك أحسوا أنهم لا لوم عليهم في الانفصال عن الروابط القديمة. وفي صيف عام ١٨٤٤ انسحب من الكنائس قرابة خمسين الفا.

قرابة ذلك التاريخ لوحظ تغيير ملحوظ في معظم الكنائس في الولايات المتحدة كلها. ولمدة سنين عديدة زاد تشبه المسيحيين بأهل العالم في ممارساتهم وعاداتهم زيادة ثابتة ولكن متدرجة، وظهر تبعا لذلك انحطاط في الحياة الروحية الحقيقية، ولكن في تلك السنة كانت توجد أدلة على وجود انحطاط ملحوظ مفاجئ في كل كنائس البلاد تقريبا. وفي حين أنه لم يبد أن أحدا يستطيع أن يدلي بأسباب ذلك فان الحقيقة نفسها لوحظت في كل مكان وأبديت بصددها الملاحظات والتعليقات من منابر الصحافة والكنائس.

ففي اجتماع مجمع فيلادلفيا صرح المستر بارنز، صاحب تفسير الكتاب الواسع الانتشار وراعي كنيسة من أمهات كنائس تلك المدينة، « بأنه قضى في الخدمة عشرين عاما ولم يحدث طوال تلك السنين ان مارس الفريضة المقدسة من دون أن ينضم لى الكنيسة أعضاء جدد، قليلين كانوا او كثيرين، الا في آخر

مرة مارس فيها الفريضة. أما الان فلا توجد انتعاشات ولا يوجد متجددون يرجعون الى الله، ولا يوجد نمو في النعمة ظاهرا في حياة المعترفين بالديانة، ولا يأتي أحد الى مكتبه للتحدث معه عن خلاص نفوسهم. فاذ زادت الاعمال والتوقعات المشرقة للتجارة والصناعة زاد اهتمام الناس بالامور العالمية. وهذا يصدق على كل الطوائف » (٣٢٤).

انحراف الكنائس

وفي شهر شباط (فبراير) من تلك السنة عينها قال فيني، الاستاذ في كلية أوبرلين : « أمام أذهاننا تمثل هذه الحقيقة وهي أن عامة الكنائس البروتستانتية في بلادنا إما انها تغط في سبات عميق وإما انها تضمر العداء لاغلب الاصلاحات الاخلاقية في هذا العصر. توجد استثناءات جزئية، ومع ذلك فهي ليست كافية للتدليل على أن الحالة العامة هي على عكس ما قد قررته. كما أن لدينا حقيقة أخرى هي انعدام تأثير الاصلاح في الكنائس. ان السبات الروحي يكاد يكون شاملا ومتفشيا في كل مكان، وهو سبات عميق جدا، وهذا ما تشهد به الصحافة الدينية... ان اعضاء الكنائس عموما قد صاروا عبيدا للازياء والعادت العالمية، مثلهم في ذلك مثل أبناء هذا الدهر. فهم يصحبون الاشرار في حفلات الطرب والمسرات وفي الرقص واقامة الولائم الخ... ولكن لا حاجة بنا الى الاسترسال في هذا الموضوع المؤلم. ويكفي أن نقول ان البراهين تتكاتف وتزيد وتضغط بثقلها على قلوبنا، وهي تبرهن لنا أن الكنائس عموما سائرة في طريق الانحطاط المؤلم. لقد ابتعدت عن الرب بعدا قاصيا ولذلك فقد انسحب منها ».

وقد كتب احد الكتَّاب في صحيفة « التلسكوب الديني » فشهد قائلا : « لم يسبق لنا أن رأينا انحطاطا دينيا كهذا الانحطاط الشامل الراهن. وفي الحقيقة يجب على الكنيسة أن تستيقظ وتبحث عن سر هذه البلية، اذ يجب على كل محب لصهيون أن يرى فيها بلية. وعندما نذكر ندرة عدد حالات التجديد الحقيقي ووقاحة الخطأة وقسوتهم التي لا مثيل لها فاننا نكاد نصرخ رغما عنا

قائلين : " هل نسي الله رحمته أم أن باب الرحمة قد أُغلق ؟ "

سبب الحالة

مثل هذه الحالة لا يمكن أن توجد من دون أن تكون العلة في الكنيسة نفسها. فالظلمة الروحية التي تكتنف الامم والكنائس والافراد لا تعزى الى تعسف الله في سحب امدادات نعمته الالهية بل الى اهمال الانسان أو رفضه النور الالهي. وان لنا في تاريخ الشعب اليهودي في عهد المسيح مثلا رائعا على صدق هذا الكلام. فلكونهم أحبوا العالم ونسوا الله وكلمته عميت أذهانهم وصارت قلوبهم أرضية وشهوانية. وهكذا جهلوا كل شيء عن مجيء مسيا، وفي كبريائهم وعدم ايمانهم رفضوا الفادي. وحتى في ذلك الحين لم يحرم الله الامة اليهودية من معرفة بركات الخلاص او الاشتراك فيه .لكنّ الذين رفضوا الحق ما عادت لهم بعد ذلك رغبة في الحصول على هبة السماء. لقد كانوا « يقولون للظلام نورا وللنور ظلاما » الى أن صار النور الذي كان فيهم ظلاما. وما كان أعظم ذلك الظلام!

أنه مما يروق لسياسة الشيطان أن يُبقي الناس على صورة الديانة وطقوسها اذا كان يعوزهم روح التقوى الحيوية. ان اليهود بعدما رفضوا الانجيل ظلوا محتفظين بطقوسهم القديمة بكل غيرة، كما ظلوا محتفظين بانطوائهم القومي في حين انهم هم انفسهم لم يسعهم الا التسليم بأن الله ما عاد يعلن حضوره بينهم. ان نبوة دانيال اشارت اشارة لا تخطئ الى وقت مجيء مسيا، وانبأت نبوة مباشرة بموته الى حد أنهم لم يشجعوا أحدا على دراستها، وأخيرا نطق أحبار اليهود باللعنة على كل الذين حاولوا تقدير الزمن أو معرفته. وطوال ثمانية عشر قرنا ظل اليهود سادرين في عماهم وتحجر قلوبهم وهم عديمو الاكتراث لهبات الخلاص الرحيمة، وغير حافلين ببركات الانجيل، وكان ذلك انذاراً خطيرا ومخيفا بخطر رفض النور الآتي من السماء.

وأينما يوجد السبب فلا بد أن تتبعه النتائج نفسها. ان من يتعمد اخماد اقتناعاته بالواجب لأن ذلك يتعارض مع ميوله لن يعود قادرا بعد ذلك على التمييز بين الحق والضلال. فالفهم تغشاه الظلمة، والضمير لا يعود يتأثر، والقلب يتقسى، والنفس تنفصل عن الله. فأينما يركل الناس رسالة الحق الالهي أو يستخفون بها فالكنيسة تلف في أكفان الظلام، ويفتر الايمان والمحبة، ويقتحم الكنيسة النفور والخصومات، وأعضاء الكنيسة يركزون مصالحهم وجهودهم في الممارسات العالمية، ويمعن الخطأة في صلابة قلوبهم.

انذار الى الكنيسة

ان رسالة الملاك الاول المذكورة في سفر الرؤيا الاصحاح الرابع عشر والتي فيها يعلن عن ساعة دينونة الله ويدعو الناس الى أن يخافوا الله ويسجدوا له كان المقصود بها أن تفصل الشعب المعترف بولائه لله بعيداً عن تأثيرات العالم المفسدة، وتوقظهم لمعرفة حالتهم الحقيقية، حالة محبة العالم والارتداد. ففي هذه الرسالة ارسل الله الى الكنيسة انذارا، ولو قُبل هذا الانذار لكان كفيلا باصلاح الشرور التي كانت تباعد بينهم وبين الله. وهم لو قبلوا تلك الرسالة الآتية من السماء واتضعت قلوبهم أمام الرب وطلبوا بكل اخلاص أن يستعدوا للوقوف في حضرته لظهر روح الله وقدرته في وسطهم. وكان في وسع الكنيسة أن تعود من جديد الى تلك الحالة المباركة، حالة الوحدة والايمان والمحبة التي سادتها في عصر الرسل عندما قيل عن المؤمنين انه كان لهم « قلب واحد ونفس واحدة » و « كانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة »، « وكان الرب كل يوم يضم الى الكنيسة الذين يخلصون » (أعمال ٤: ٣٢ و ٣١؛ ٢: ٤٧).

ولو أن الشعب المعترف بالله يقبل النور الذي يشرق لهم من كلمته لكانوا يصلون الى تلك الوحدة التي قد صلى المسيح في طلبها، والتي يصفها الرسول بأنها: « وحدانية الروح برباط السلام ». ثم يقول : « جسد واحد وروح واحد كما

دُعيتم أيضا في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد ايمان واحد معمودية واحدة » (أفسس ٤: ٣ ــ ٥).

مثل هذه كانت النتائج المباركة التي اختبرها اولئك الذين قبلوا رسالة المجيء. لقد أتوا من طوائف مختلفة، وقد نقضت حواجزهم الطائفية الى الارض، وتطايرت العقائد المتضاربة فصارت ذرات. وهجر الناس الرجاء غير الكتابي في عصر ذهبي مادي زمني. كما أصلحت الآراء الكاذبة الخاصة بالمجيء الثاني، واكتسحت الكبرياء ومجاراة العالم، وأصلحت الأخطاء، واتحدت القلوب في أجمل واعذب شركة. وصارت للمحبة والفرح السيادة العظمى. فاذا كانت هذه العقيدة قد حققت هذا كله للاقلية الذين قبلوها فلا بد أنها كفيلة بأن تحقق هذا ايضا لكل من يقبلونها.

لكنّ الكنائس عموما لم تقبل الانذار. فان خدامها بوصفهم »رقباء على بيت اسرائيل » وكان ينبغي لهم أن يكونوا أول من يميزون علامات مجيء يسوع، اخفقوا في فهم الحق من شهادة الانبياء ومن علامات الازمنة. فاذ امتلأ القلب بالآمال والمطامع الدنيوية فترت المحبة لله والايمان بكلمته، فعندما قدمت رسالة المجيء أثارت تعصبهم وعدم ايمانهم. ان واقع كون الذين كرزوا بهذه العقيدة كانت غالبيتهم من العلمانيين استخدم ضدها. لقد قوبلت شهادة كلمة الله الصريحة كم في القديم بهذا السؤال : « ألعل احدا من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به » (يوحنا ٧ : ٤٨)، واذ ايقنوا صعوبة تفنيدالبراهين المقتبسة من الفترات المذكورة في كتب الانبياء ثبطوا همم الكثيرين حتى لا يدرسوا النبوات، اذ علموهم أن الاسفار النبوية مختومة ولا يمكن فهمها. ولما كان كثيرون من الناس واثقين بخدامهم ثقة كاملة رفضوا الاصغاء الى الانذار، بينما آخرون مع اقتناعهم بالحق لم يجرؤوا على الاعتراف به لئلا « يخرجوا من المجمع ». ان الرسالة التي بعثها الله لاختبار الكنيسة وتطهيرها كشفت بكل تأكيد عن كثرة عدد من ثبتوا محبة قلوبهم على هذا العالم بدلا من أن يحبوا المسيح. فالاواصر التي ربطتهم بالارض كانت أقوى من الدوافع التي جذبتهم الى السماء. لقد اختاروا الاصغاء الى صوت الحكمة الدنيوية وابتعدوا عن رسالة الحق الفاحصة للقلب.

واذ رفضوا انذار الملاك الاول رفضوا الوسيلة التي قد اعدتها السماء لردهم. لقد رفضوا رسول الرحمة وطردوه، ذلك الرسول الذي كان يستطيع أن يصلح الشرور التي فصلتهم عن الله، وبشوق عظيم ارتدوا ينشدون صداقة العالم. كان هذا هو سبب حالة محبة العالم المخيفة والارتداد والموت الروحي الذي حل بالكنائس في عام ١٨٤٤.

اننا نجد في الاصحاح الرابع عشر من سفر الرؤيا ان الملاك الاول يتبعه ملاك آخر يعلن قائلا : « سقطت سقطت بابل المدينة العظيمة لأنها سقت جميع الامم من خمر غضب زناها » (رؤيا ١٤: ٨). ان كلمة « بابل » معناها بلبلة أو ارتباك. وهي تستعمل في الكتاب المقدس لتحدد وتعين الاشكال المختلفة لدين الارتداد الكاذب. وفي رؤيا ١٧ نجد أن بابل ممثلة بهيئة امرأة، وهذا رمز يستخدم في الكتاب ليشير إلى الكنيسة، فالمرأة الفاضلة ترمز الى الكنيسة الطاهرة، أما المرأة الشريرة الفاسدة فترمز الى الكنيسة المرتدة.

وفي الكتاب المقدس نجد أن الصفة المقدسة الدائمة للعلاقة الكائنة بين المسيح والكنيسة ممثلة في الارتباط بالزواج. لقد اقترن الرب بشعبه وضمه الى نفسه بعهد مقدس، فمن ناحيته يعدهم بأن يكون لهم الهاً وهم من ناحيتهم يتعهدون بأن يكونوا خاصة له وحده. وهو يعلن قائلا: «وأخطبك لنفسي الى الابد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والاحسان والمراحم» (هوشع ٢: ١٩). ومرة اخرى يقول: «لأني سُدت عليكم [أي تزوجتكم]» (ارميا ٣: ١٤). واستخدم الرسول بولس التشبيه ذاته في العهد الجديد اذ قال: «خطبتكم لرجل واحد لاقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كورنثوس ١١ : ٢).

ان عدم أمانة الكنيسة للمسيح، اذ حولت ثقتها وعواطف محبتها عنه وسمحت لمحبة أمور العالم أن تحتل النفس، شبيه بتدنيس عهد الزواج. وخطيئة اسرائيل في تركهم للرب ينظر اليها بالمنظار نفسه. فمحبة الله العجيبة التي ازدروها الى هذا الحد صوِّرَتْ على نحو مؤثر اذ يقول الله : « حلفت لكِ ودخلت معكِ في عهد يقول السيد الرب فصرتِ لي » .«وجملت جدا جدا فصلحتِ

لمملكة. وخرج لكِ اسم في الامم لجمالك لأنه كان كاملا ببهائي الذي جعلته عليك... فاتكلتِ على جمالك وزنيتِ على اسمكِ». « حقا انه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت اسرائيل يقول الرب » . « أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ اجنبيين مكان زوجها » (حزقيال ١٦ : ٨ و ١٣ ــ ١٥؛ ارميا ٣: ٢٠ ؛ حزقيال ١٦: ٣٢).

واننا نجد في العهد الجديد كلاما قريب الشبه جدا بهذا موجها الى المسيحيين المعترفين بالمسيح الذين يطلبون صداقة العالم من دون رضى الله. يقول الرسول يعقوب : « أيها الزناة والزواني أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله فمن أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله » (يعقوب ٤ : ٤).

المرأة المرتدة

ان المرأة (بابل) المذكورة في رؤيا، الاصحاح السابع عشر، موصوفة بأنها « متسربلة بأرجوان وقرمز ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ ومعها كأس من ذهب في يدها مملوء رجاسات ونجاسات... وعلى جبهتها اسم مكتوب « سر بابل العظيمة أم الزواني » . و يقول النبي «رأيت المرأة سكرى من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع ». وقد أعلن عن بابل أيضا أنها « المدينة العظيمة التي لها ملك على ملوك الارض » (رؤيا ١٧: ٤ ــ ٦ و١٨). ان القوة التي بسطت طوال قرون عديدة سيادتها المتعسفة الظالمة على ملوك العالم المسيحي هي روما. والارجوان والقرمز والحجارة الكريمة والذهب واللؤلؤ تصور لنا بكل جلاء الابهة والعظمة والفخامة التي تزيد على عظمة الملوك والتي كان يتباهى بها كرسي الباباوات المتعجرفين في روما. ولا يمكن أن سلطانا آخر يصدق عليه القول بأنه « سكر من دم القديسين » كما صدق على تلك الكنيسة التي قد اضطهدت اتباع المسيح بكل قسوة. ثم ان بابل متهمة أيضا باتحادها وارتباطها غير المشروع « بملوك الارض ». ان الكنيسة اليهودية بسبب تركها الرب وتحالفها مع الوثنيين صارت زانية، وكذلك روما اذ افسدت نفسها بالطريقة ذاتها وطلبت

معاضدة القوات الارضية تقع تحت تلك الدينونة عينها.

سقوط بابل

وقد قيل عن بابل انها « أم الزواني ». وبناتها ترمز الى الكنائس التي تتمسك بتعاليمها وتقاليدها وتتبع مثالها في التضحية بالحق ورضى الله واستحسانه في سبيل ابرام تحالف غير مشروع مع العالم. وان الرسالة الواردة في رؤيا، الاصحاح الرابع عشر، التي تعلن عن سقوط بابل لا بد أن تنطبق على كل الهيئات الدينية التي كانت قبلا طاهرة ولكنها فسدت. وبما أن هذه الرسالة تتبع الانذار بالدينونة فلا بد من تقديمها في الايام الاخيرة، ولذلك فلا يمكن أن تكون الاشارة الى كنيسة روما وحدها ، لأن الكنيسة ظلت في حالة السقوط قرونا طويلة. وفوق هذا ففي الاصحاح الثامن عشر من الرؤيا يطلب من شعب الله أن يخرجوا من بابل. وبناء على ما جاء في هذا الاصحاح لا بد أن يكون كثيرون من شعب الله باقين في بابل. ففي أي الهيئات الدينية يوجد السواد الاعظم من اتباع المسيح في هذه الايام؟ انهم لا شك موجودون في الكنائس المختلفة التي تعتنق العقيدة البروتستانتية. ان هذه الكنائس وقفت عند بدء ظهورها موقفا نبيلا الى جانب الله والحق فحلَّت عليها بركته. وحتى العالم غير المؤمن التزم الاعتراف بالنتائج الجميلة النافعة التي تبعت قبول الناس لمبادئ الانجيل. وقد وردت هذه الكلمات في أقوال النبي: « وخرج لكِ اسم في الامم لجمالِك لانه كان كاملا ببهائي الذي جعلته عليك يقول السيد الرب ». لكنّ الرغبة التي كانت لعنة ودمارا لاسرائيل كانت هي نفسها علة سقوطهم، الا وهي رغبة التشبه بالاشرار في العادات ومحاولة التقرب منهم لكسب صداقتهم. « فاتكلت على جمالك وزنيتِ على اسمك (حزقيال ١٦: ١٤ و ١٥).

تتحد مع العالم

ان كثيرا من الكنائس البروتستانتية تتمثل بروما في ارتباطها الآثم «بملوك الارض ». ــ كنائس الدولة في صلتها بالحكومات الارضية، وبطوائف أخرى في سعيها الى طلب رضى العالم. ويمكن اطلاق اسم «بابل» ــ بلبلة ــ بكل لياقة على هذه الهيئات، اذ انها كلها تعترف بأنها تقتبس تعاليمها وعقائدها من الكتاب، ومع ذلك فهي منقسمة الى شيع تكاد لا تحصى، وعقائدها ونظرياتها متضاربة.

وفضلا عن الاتحاد الآثم مع العالم فان الكنائس التي انفصلت عن روما تقدم صفات اخرى من صفاتها.

في احد المؤلفات الرومانية الكاثوليكية نجد هذا القول : « اذا كانت كنيسة روما مذنبة بعبادة الاوثان في علاقتها بالقديسين، فان ابنتها كنيسة بريطانيا قد ارتكبت الخطيئة نفسها، اذ انها تكرس عشر كنائس للعذراء في مقابل تكريس كنيسة واحدة للمسيح » (٣٢٥).

ثم ان الدكتور هوبكنز يعلن في « مقال كتبه عن العصر الالفي » قائلا : «لا يوجد ما يدعونا الى اعتبار الروح المنافية للمسيحية وممارستها قاصرة على الكنيسة التي تسمى الان كنيسة روما. فالكنائس البروتستانتية فيها كثير من هذه الروح، وهي أبعد ما تكون عن الاصلاح الكامل... المنزَّه من الفساد والانحلال والشر » (٣٢٦).

وبخصوص انفصال الكنيسة المشيخية عن روما كتب الدكتور غوثري يقول : « منذ ثلاث مئة سنة خرجت كنيستنا من أبواب روما وعلى اعلامها صورة الكتاب المقدس مفتوحا وهذا الشعار فتشوا الكتب مكتوب على دَرْجِها». وبعد ذلك يسأل هذا السؤال الذي له مغزاه : « ولكن هل خرجوا من بابل خروجا كاملا بمعنى الكلمة ؟ » (٣٢٧) .

و ها هو سبورجون يقول : « يبدو أن كنيسة بريطانيا قد أصيبت بنخر سوس التمسك بالفرائض والطقوس، لكنّ الانشقاق يبدو ملتبسا مع الالحاد الفلسفي. ان اولئك الذين كنا نفكر فيهم افكارا حسنة ينحرفون واحدا بعد الآخر عن أصول الايمان. واني اعتقد ان الالحاد قد نخر في عظام بريطانيا، ذلك الالحاد اللعين الذي يجرؤ على اعتلاء المنبر ويدعو نفسه مسيحيا ».

ماذا كان أصل الارتداد العظيم، وكيف بدأت الكنيسة في الانحراف عن بساطة الانجيل ؟ بمشاكلتها الممارسات الوثنية لتهوِّن على الوثنيين أمر قبولهم للمسيحية. وقد أعلن بولس الرسول حتى في عصره قائلا : « سر الاثم الان يعمل » (٢ تسالونيكي ٢: ٧). وقد ظلت الكنيسة طاهرة نسبيا في عهد الرسل، « ولكن قرابة القرن الثاني صار لمعظم الكنائس شكل جديد، فاختفت البساطة الاولى، وبعدما اضطجع التلاميذ الاولون في قبورهم قام نسلهم مع المهتدين الجدد... وشكلوا شيئا فشيئا القضية المسيحية من جديد » (٣٢٨) ولكي يحصلوا على مهتدين خفضوا مقياس الايمان المسيحي السامي، ونتيجة لذلك « حدث أن طوفانا وثنيا غمر الكنيسة بممارسات الوثنية وعاداتها وأوثانها » (٣٢٩)، واذ ظفر الدين المسيحي برضى الرؤساء العالميين ومعاضدتهم قبلت جماهير الوثنيين الدين المسيحي قبولا اسميا. ولكن مع ان كثيرين كانوا مسيحيين في مظهرهم « فقد ظلوا وثنيين في قلوبهم، وكانوا على الخصوص يسجدون لاوثانهم في الخفاء »(٣٣٠).

العملية تتكرر

ألم تتكرر هذه العملية ذاتها في أغلب الكنائس التي تدعو نفسها بروتستانتية. فما ان تنقضي حياة مؤسسي الكنائس المصلحة الذين كان لهم روح الاصلاح الحقيقي حتى يتقدم اولادهم « ويشكلون القضية من جديد ». وفي حين ان اولاد المصلحين يتعلقون في عماهم بعقيدة آبائهم ويرفضون قبول أي حق كتابي جديد اكثر مما قد عرفوه فانهم يبتعدون بعدا قاصيا عن مثالهم، مثال

الوداعة وإنكار الذات ونبذ العالم. وهكذا « تختفي البساطة الاولى ». ان طوفانا عالميا يكتسح الكنيسة « ويحمل معه اليها عادات العالم واعماله واوثانه ».

واأسفاه، الى أي حد مخيف يحتضن اولئك المعترفون بأنهم اتباع المسيح محبة العالم التي هي « عداوة لله »! وما اعظم ابتعاد الكنائس المشهورة في العالم المسيحي عن مثال الكتاب المقدس، مثال الوداعة وانكار الذات والبساطة والتقوى ! لقد قال جون وسلي وهو في معرض حديثه عن استخدام المال استخداما صائبا : « لا تبذروا جزءا ولو صغيرا من هذه الوزنة الثمينة لمجرد اشباع شهوة العيون في التأنق ولبس الثياب الغالية الثمن او الزينة التي لا حاجة اليها. ولا تبذروا شيئا منها في تزيين بيوتكم أو شراء الصور والأثاث الغالي الثمن والزائد عن الحاجة، ولا في تمويه الجدران بماء الذهب... ولا تضعوا شيئا يؤدي الى تعظم المعيشة او الى الظفر باعجاب الناس او مديحهم... " ويمدحك الناس طالما أحسنت الى نفسك ". فما دمت "تلبس البز والارجوان وتتنعم كل يوم مترفها " فلا شك ان الناس سيمتدحون جمال ذوقك وكرمك وسخاءك. ولكن احذر من أن تشتري مديحهم واستحسانهم بهذا الثمن الغالي. فخير لك ان تقنع بالكرامة التي تأتيك من الله» (٣٣١). لكنّ كثيرا من الكنائس في أيامنا هذه تستخف بمثل هذا التعليم.

ادعاء التقوى

صار الاعتراف بالدين امرا مألوفا لدى العالم. فالحكام ورجال السياسة والمحامون والاساتذة العظام والتجار ينضمون الى الكنيسة كوسيلة تجعلهم يحصلون على احترام المجتمع وثقته ونجاح مصالحهم العالمية. وهكذا هم يحاولون أن يستروا كل صفقاتهم الآثمة تحت ستار الاعتراف بالمسيحية. والهيئات الدينية المختلفة اذ تتقوى بثراء هؤلاء العالميين المعتمدين ونفوذهم تطلب مزايدة أعلى للشهرة والرعاية. ان الكنائس الفخمة المزينة بأغلى الزينات توجد غالبا في الشوارع المشهورة. والعابدون يلبسون افخر الملابس المصنوعة

على احدث طراز. والخادم الموهوب يُعطي اجرا عظيما ومرتبا سخيا ليحتفي بالشعب ويجتذبهم. وينبغي الا تمس عظاته الخطايا المألوفة بل ان يكون الكلام ناعما ومسرا لتلك الآذان المهذبة. وهكذا تسجل اسماء الخطاة المهذبين في سجلات الكنيسة وتختفي الخطايا المهذبة تحت ستار التظاهر بالتقوى.

ان صحيفة عالمية شهيرة في تعليقها على موقف المعترفين بالمسيحية حيال العالم كتبت تقول : « لقد خضعت الكنيسة لروح العصر وهي لا تشعر، ووفقت بين طقوس عبادتها وحاجات العصر ». « وفي الحق ان الكنيسة الآن تستخدم كل الوسائل التي من شأنها ان تجعل الديانة جذابة ». وان كاتبا في صحيفة « نيويورك انديبندنت » يتحدث عن الكنيسة الميثودستية قائلا : « ان الحد الفاصل بين الاتقياء وغير المتدينين بدأ يبهت شيئا فشيئا بحيث صار امتزاجا بين النور والظلام، والناس الغيورون من كلا الجانبين جاهدون في سبيل محو كل الفروق بين اساليب عملهم وتمتعاتهم ». «ان اشتهار الديانة يؤول الى زيادة عدد الذين يرغبون في الحصول على فوائدها من دون القيام بواجباتها بكل انصاف ».

ويقول هوارد كروسبي : « انه مما يدعونا الى التفكير العميق كوننا نجد كنيسة المسيح لا تحقق اغراض سيدها الا بقدر ضئيل جدا. فكما فعل اليهود قديما حين جعلوا اختلاطهم بالامم الوثنية يسترق قلوبهم ويجعلها تزيغ عن الله... كذلك الحال مع كنيسة يسوع اليوم، التي تماثلهم بتحالفها واشتراكها المخطئ مع العالم العديم الايمان، وبتخليها عن المثل الالهية العليا لحياتها الحقيقية الامينة، وبتسليمها نفسها لعادات المجتمع المعادي للمسيح، تلك العادات الوبيلة التي هي في الوقت نفسه غرارة، وباستخدام البراهين والوصول الى النتائج التي لا صلة بينها وبين اعلانات الله والتي تعادي وتعارض النمو في النعمة ». (٣٣٢)

انعدام روح التضحية لأجل المسيح

وفي هذا التيار الجارف، تيار محبة العالم والسعي في طلب المسرات، تكاد تضيع التضحية لاجل المسيح وانكار الذات. « ان بعضا من الرجال والنساء الذين يمارسون نشاطهم في كنائسنا كانوا قد تعلموا في طفولتهم ان يتدربوا على التضحية حتى يستطيعوا ان يعطوا او يفعلوا شيئا لاجل المسيح »، ولكن « اذا طُلبت نفقات الآن... ينبغي الا يطلب من أي واحد ان يعطي. آه كلا! اعملوا سوقا خيرية واعرضوا لوحات الرسم ومثلوا محاكمة كاذبة او اقيموا وليمة عشاء تقليدية او اي شيء يؤكل، اي شيء فيه تسلية ومتعة للناس».

اعلن الحاكم واشبرن من وسكونسن في خطابه السنوي في يوم ٩ كانون الثاني (يناير) من عام ١٨٧٣ قائلا: «يبدو اننا نحتاج الى سن قانون لاغلاق المدارس التي تخرِّج المقامرين. وهذه المدارس توجد في كل مكان. بل حتى الكنيسة (وان يكن ذلك لعدم تيقظها بالطبع) احيانا تعمل عمل الشيطان. فالجوائز التي تقدم الى الجوقات الموسيقية، وجوائز المشاريع، واليانصيب الذي يكون احيانا لاغراض دينية او خيرية ولكن غالبا ما يكون لاغراض اقل لياقة، وبيع الاشياء بأوراق اليانصيب، والطرود الخادعة، كل هذه حيل للحصول على المال من دون مقابل. ليس ما يفسد الاخلاق أو يُسكر الناس، وعلى الخصوص الشباب، مثل احراز المال او الاملاك من دون كد او تعب. فاذا كان الناس المحترمون ينشغلون بهذه المشاريع التي هي رهن الصدفة، ويحاولون اسكات ضمائرهم بالتفكير في أن هذا المال ينفق في ابواب خيرية، فلا غرابة اذا كان شباب الوطن يسقطون مرارا في العادات التي غالبا ما يحدثها اهتياج الالعاب التي فيها مخاطرات ».

ان روح مجاراة العالم تغزو الكنائس في كل العالم المسيحي. ويقدِّم روبرت اتكنز، في عظة له القاها في لندن، صورة قاتمة للانحطاط الروحي المتفشي في بريطانيا فيقول : « لقد نقص عدد الأبرار الحقيقيين من الارض، ولا أحد يضع

ذلك في قلبه. ان المعترفين بالديانة في أيامنا هذه في كل كنيسة محبون للعالم، وهم على شاكلته ومحبون للعزاء والراحة اللذين يأتيانهم من بني الانسان ويتحرقون شوقا الى الظفر باحترام الناس. انهم مدعوون لأن يتألموا مع المسيح ولكنهم ينكمشون حتى أمام التعيير... ان الارتداد، الارتداد، الارتداد كلمة منقوشة في واجهة كل كنيسة. ولو كانت تلك الكنائس تعرف ذلك وتحس به لكان لها رجاء، ولكن واأسفاه ! فهم يصيحون قائلين : " اني انا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي الى شيء " (٣٣٤).

ان الخطيئة العظيمة التي اتهمت بها بابل هي انها « سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها » (رؤيا ١٤: ٨). وكأس الخمر هذه التي تقدمها الى العالم ترمز الى التعاليم الكاذبة التي قبلتها كنتيجة لعلاقتها غير المشروعة بعظماء الارض. فمصادقتها للعالم تفسد ايمانها، وهي بدورها تبذل جهدا مفسدا للعالم بتقديمها تعاليم مضادة لاوضح مبادئ الكلمة المقدسة واعظمها صراحة.

لقد حجبت روما الكتاب المقدس عن الناس وطلبت منهم جميعا أن يقبلوا تعاليمها هي بدلا من تعاليم الكتاب. وكان عمل الاصلاح هو اعادة كلمة الله الى الناس، ولكن أليس امرا حقيقيا جدا أن الناس في كنائس عصرنا الحاضر يتعلمون ان يركزوا ايمانهم على عقيدتهم وتعليم كنيستهم لا على الكتاب؟ يقول تشارلس بيتشر في معرض كلامه عن الكنائس البروتستانتية: « انهم يرتعبون لدى سماع اقل كلمة قاسية تقال ضد العقائد بالحساسية العظيمة نفسها التي كان الآباء القديسون يحسونها ويرتعبون بسببها متى سمعوا كلمة جارحة تقال ضد عقيدة الاكرام الزائد للقديسين والشهداء التي تبنوها.. وان الطوائف البروتستانتية الانجيلية وقفت كلها صفا واحدا جنبا الى جنب ويدا بيد بحيث لم يكن انسان يستطيع ان يصير واعظا البتة من دون ان يقبل كتابا آخر مع الكتاب المقدس... وليس من باب التصور او الخيال ان نقرر ان قوة العقيدة قد بدأت تحرم الكتاب المقدس مثلما عملت روما سواء بسواء، انما بطريقة اشد مكرا واحتيالا » (٣٣٥).

عندما يفسر المعلمون الامناء الكتاب ويشرحونه جيدا ينبري رجال العلم والخدام ويقررون أنهم يفهمون الكتاب. وهؤلاء يشهِّرون بالعقيدة السليمة قائلين انها هرطقة، وهكذا يضللون طالبي الحق. ولولا ان العالم قد سكر بخمر بابل بحيث صارت حاله ميئوسا منها لامكن تبكيت جماهير كثيرة وهدايتهم بواسطة حقائق كلمة الله الجارحة. لكن الايمان او العقيدة الدينية تبدو مشوشة ومتنافرة بحيث ان الناس لا يعرفون ما الذي يجب ان يؤمنوا به على انه الحق. فعلى الكنيسة تقع تبعة خطيئة تحجر قلب أهل العالم.

ان رسالة الملاك الثاني المذكورة في رؤيا ١٤ بشَّر بها اولا في عام ١٨٤٤، وقد طبقت حينئذ تطبيقا مباشرا على كنائس الولايات المتحدة، فأُعلن الانذار بالدينونة على اوسع مدى، لكنّ الغالبية العظمى رفضوه هناك حيث كان انحطاط الكنائس سريعا جدا. الا ان رسالة الملاك الثاني لم تتم بالكامل في عام ١٨٤٤. لقد اجتازت الكنائس حينئذ اختبار انهيار ادبي نتيجة لرفضها نور رسالة المجيء، لكن ذلك الانهيار لم يكن كاملا. فاذ ظلت تلك الكنائس سادرة في رفضها للحقائق الخاصة بهذا الزمن جعلت تنحدر الى اسفل. ومع هذا فانها الى ذلك الحين لم يكن ليصدق عليها القول « :سقطت بابل... لانها سقت جميع الامم من خمر غضب زناها ». فهي لم تحمل جميع الامم على فعل ذلك بعد. وما تزال روح مشاكلة العالم وعدم الاكتراث للحقائق الفاحصة لأيامنا موجودة وقد رسخت قدمها في الكنائس التي تعتنق العقيدة البروتستانتية في كل بلدان العالم المسيحي، وكل هذه الكنائس يشملها الانذار الخطير الرهيب المتضمن في رسالة الملاك الثاني. لكنَّ عمل الارتداد لم يصل بعد اقصى غايته.

يعلن الكتاب انه قبل مجيء الرب سيعمل الشيطان « بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الاثم في الهالكين لانهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا ». فالذين لم يقبلوا محبة الحق سيُتركون حتى يقبلوا « عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب » (٢ تسالونيكي ٢: ٩ ــ ١١). ولن يكون سقوط بابل كاملاً حتى يتم الوصول الى هذه الحالة ويتم ويبرم الاتحاد بين الكنيسة والعالم في جميع انحاء العالم المسيحي. ان التطور تدريجي ،واتمام النبوة

الواردة في رؤيا ١٤: ٨ على نحو كامل سيكون في المستقبل.

يطلبون نورا أوضح

وعلى رغم الظلمة الروحية والابتعاد عن الله الموجودين في الكنائس التي منها تتكون بابل، فان هيئة اتباع المسيح الامناء يوجدون في شركتهم. وكثيرون من هؤلاء لم يروا قط الحقائق الخاصة بهذا الزمن. وجماعة غير قليلة منهم غير قانعين بحالتهم الراهنة، وهم يتوقون الى نور اوضح. وعبثا ينتظرون ان يروا صورة المسيح في الكنائس التي هم مرتبطون بها. فاذ تبتعد هذه الهيئات عن الحق شيئا فشيئا وتعقد مع العالم تحالفاً وثيقا فسيرى البون شاسعا بين الفريقين، وينتهي الامر بالانفصال. وسيأتي الوقت الذي فيه لا يستطيع من يحبون الله أعظم الحب ان يظلوا مرتبطين بأولئك الذين هم «محبون للذات دون محبة الله، لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها» (٢ تيموثاوس ٣: ٤ و ٥).

ان ما ورد في رؤيا ١٨ يشير الى الوقت الذي فيه ستكون الكنيسة وصلت تماما الى الحالة التي تنبأ عنها الملاك الثاني نتيجة لرفضها الانذار المثلث الوارد في رؤيا ١٤: ٦ ــ ١٢، وشعب الله الباقون في بابل سيدعون لينفصلوا عن شركتها. وهذا هو آخر انذار يعطى للعالم، وسيتمِّم عمله. وعندما يُترك الذين « لم يصدقوا الحق بل سروا بالاثم » (٢ تسالونيكي ٢: ١٢) ليقبلوا الخداع القوي ويصدقوا الكذب، حينئذ سيشرق نور الحق على الذين قلوبهم مفتوحة لقبوله، وكل شعب الله الباقين في بابل سيلتفتون الى النداء القائل : « اخرجوا منها يا شعبي » (رؤيا ١٨: ٤).